شخصيات تراثية :

محمد فؤاد عبدالباقى

أ. مصطفى موسى(*)

شغلت تراجم الرجال فى تراثنا العربى مكانًا ظاهرًا استوقف الأنظار ، واستحوذ على الألباب . وكان الدافع الدينى وراء هذه العناية بتراجم الرجال ، فقد اهتم المسلمون ـ منذ البدء ـ بحياة النبى ﷺ ، بصفته أعظم شخصية عرفتها بيئة العرب ، وأثناء جمع أحاديثه الشريفة أدركوا أن كثيرًا منها يتعلق بحياته وغزواته ﷺ .

ثم أيقنوا أن (أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب) لهما نصيب مؤثر وفعّال فى منظومة دولة الإسلام الفتية ، بالإضافة إلى آخرين من صحابته ﷺ ، لم يزل تأثيرهم حيًا بيننا يملأ الأسماع والأبصار ، الأمر الذى أدى إلى الاتجاه نحو تدوين سير العظماء ، وأعظمهم ـ بالطبع ـ رسول الله ﷺ .

وتخبرنا أسفار التاريخ أن أول من ألَّف فى سيرة النبى ﷺ :

«عروة بن الزبير بن العوام» (٢٣ ــ ٩٤ هـ) ، و«أبان بن عثمان بن عفان» (٢٢ ـ ١٠٥هـ) .

ثم ظهر الاهتمام بسير أعلام الصحابة . وقد ألجأهم البحث عن الصحيح من الأحاديث إلى نقد هؤلاء الصحابة ، وتعديلهم وتجريحهم ، فتجمعت مجموعات من تراجم الرجال وسيرهم ، حتى أصبح ذلك منهجًا سار عليه المؤلفون فيما بعد ، واتسعت الدائرة لتشمل أعلام الأدب ، واللغة ، والفقه ، وغيرها من العلوم .

واستكمالاً لمسيرة العظماء نقف فى هذه الدراسة عند واحدٍ من عظماء عصرنا الحديث ، أسهم فى إنارة دروب البحث ، وتذليل ما يعترض الدارسين من مشقة وعناء ، فاستمر حيًا ينعم بالرحمات كلما تصفحت الأفهام صفحات صنعته الدقيقة لفهارس الكتاب الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، فانهمرت رحمات السماء عليه كلما هبت نسائم الفتح على الباحثين الذين أخلصوا وبذلوا موفور العطاء من أجل خير العباد .

ولد «محمد فؤاد عبد الباقى» فى شهر مارس عام ١٨٨٢م الموافق ١٢٩٩هـ ، حيث كانت أسرته ـ آنذاك ـ تقطن بلدة « ميت حلفا» ، من أعمال القليوبية بمصر .

(*) باحث أول بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

وكان أبوه من بلدة «قمن العروس» من أعمال الواسطى ، بمحافظة بنى سويف بالصعيد الأوسط . أما الأم فمن بلدة «برنبال» التابعة لمركز دكرنس ، من أعمال الدقهلية ، وهى بلدة « على باشا مبارك» وزير المعارف ، ومُنشئ دار الكتب المصرية ، ومدرسة دار العلوم .

وكان « محمد فؤاد» الابن البكر لأبويه ، وقد تحولت أسرته عن «ميت حلفا» مسقط رأسه ، وأخذت تضرب فى الأرض حتى استقرت فى الأحياء الشعبية القاهرية ، فعاشت فى : الماوردى ، والبغالة ، وشبرا ، وهى أحياء تمثل المجتمع المصرى بكل أصالته ، وتقاليده ، وجذوره العريقة .

ولم ينتظم «محمد فؤاد عبد الباقى» فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يتلقى دراسات حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ؛ فى بواكير طفولته سافرت أسرته إلى السودان ، حيث كان والده« عبد الباقى (بك) صالح» وكيلاً للإدارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الأسرة فى (وادى حلفا) ، ثم حدثت معركة (ود النجوم) ـ و(ود النجوم) اسم القائد السودانى الذى كان يحارب مصر فى هذه المعركة ، وقد قتل فيها ــ فانتقلت الأسرة إلى(أسوان) ، وبقيت هناك سنة ونصفًا ، وفى هذه الأثناء التحق الابن «محمد» بمدرسة أسوان الابتدائية ، ثم عادت الأسرة إلى القاهرة ، فالتحق «محمد» بمدرسة عباس الابتدائية ، وعندما بلغ امتحان الابتدائية عام ١٨٩٤م ، رسب القسم الفرنسى بأجمعه بالمدرسة ، فتركها والتحق بالمدرسة الأمريكية American Mission فى حى الأزبكية ، حيث استمر بها لمدة عامين ، ثم تركها .

وفى سنة ١٨٩٩م آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعلم ، فاتجه إلى العمل ، حيث عمل مدرسًا للغة العربية بمدرسة (المساعى المشكورة) ، فى مركز «تلا» من أعمال المنوفية ، ثم تركها ليعمل ناظرًا لمدرسة (الجمعية الخيرية الإسلامية) ، بالمحلة الكبرى فى الوجه البحرى ، ولكنه تركها ـ أيضًا ـ بعد عامين ونصف العام ؛ إذ كانت طبيعته تأبى القيود !(١) .

وقد تعترى القارىء بعض الدهشة من سيرة الرجل العلمية ؛ فبعد أن كان ناظرًا اشتغل مدرسًا لمادة الرياضة ، ثم ما لبث أن ضاق بالرياضة بعد عام من اشتغاله بها ؛ ليختار العمل مع صديقيه الأديب «صادق عنبر» ، و«عبد الله أمين» اللغوى الضليع ، فى المدرسة التحضيرية الكبرى بـ (درب الجمامين) . ومن الطريف أن ناظر المدرسة قد اشترط لقبولهم

---

(١) من ترجمة حياة المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ، للأستاذ/ بدوى طه علام ، السكرتير الخاص . غير منشور .

فى المدرسة أن يقوموا بإنشاء القصائد والخطب ؛ ليقدمها باسمه إلى الخديوى والسلطان عبد الحميد !!

وفى مقامنا هذا يطيب لنا أن نذكر بعضًا من طرائف حياة هذا العملاق الشامخ ، الذى كان هائمًا بحب الخلافة التى كانت قائمة حينئذٍ ، وبالتمدح فى شخص الخليفة الذى يراه رمزًا لدولة الإسلام وأمة المسلمين .

ففى عام ١٩٠٥م ألقى قصيدة فى جمعية النشأة الحديثة التى كانت فى درب الجماميز بالقاهرة ، موطن عمله بالمدرسة التحضيرية آنذاك ، استهلها بقوله :

صحا القلب من ذكرى حبيب ومنزل
وبات على وعد من السعد مقبل
فلم يتطربنى غزال مريّب
ولم يُشجنى قدّ ولا طرف أكحل
فقِدْمًا تولّى القلب وانفكّ هازئا
بما بُثّ فيه من جوى وتململ

ومنها قوله :

وإن لم يزن عبد الحميد قصائدى
فلا كنت فى هذا المقام بأول
وكم لك فى إغفاءة الفجر يقظة
لترتيل آيات الكتاب المُنَزَّل
تمخَّض عن فكر يذب عن الحمى
ويحمى حماه عن عداة وعُذَّل

وله قصيدة أخرى تغنى فيها بمقام الخليفة ، وفيها يقول :

صاحب العرش والخلافة والتا
ج ، وليث الوغاى ، ورب الممالك
إن عيد الجلوس عيد البرايا
واقتبال الزمان فى إقبالك
وهدى العالمين ما دمت فيهم
تجمع الكل تحت ظل هلالك

وجـــمـــال الدنيـــا بقـــاؤك فـــيـــهـــا
تهـــتـــدى فى كـــمـــالهـــا بكمـــالك
لك عـــيـــدان فى الســـمـــاء وفى الأر
ض ، فـــعـــيـــدٌ هنا وعـــيـــد هنالك

وهذه القصيدة التى نظمها فى عام ١٩٠٥ منشورة فى كراسة صغيرة ، باسم الأستاذ «سيد محمد» ناظر المدرسة التحضيرية بدرب الجماميز [١] .

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفة مترجم ، فتقدم إليها واجتاز الامتحان بامتياز ، فعين فى يوم ٢٠ ديسمبر من عام ١٩٠٥م ، وقد عمر بهذه الوظيفة إذا قيست بمثيلاتها مما شغله من وظائف من قبل ، فقد ظل بها حتى يوم ٣ أكتوبر عام ١٩٣٣م ، عندما صفى البنك أعماله ، وأحيل إلى بنك التسليف ، فأخذ «محمد فؤاد عبد الباقى» مكافأته من البنك ، وترك الوظيفة .

وقد كانت المدة التى قضاها فى البنك الزراعى فترة استقرار فى حياته ؛ إذ هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى ـ وخاصة (ڤيكتور هوجو ، ولامارتين) ـ كما أقبل على أمهات كتب التراث العربى ، فقرأ أغلبها ، وحفظ الكثير من عيون الشعر العربى ، مثل ديوان الحماسة . كما أتاحت له فترة الاستقرار العملى بالبنك أن يتعرف إلى رجال كان لهم عظيم الأثر فى حياته ، نذكر منهم بعد والده :

الشيخ مصطفى عبدالرازق ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، والشيخ رشيد رضا ، الذى يمثل ـ الأخير ـ منعطفًا مهمًا فى حياة «محمد فؤاد عبدالباقى» ، وتحولاً خطيرًا فى مساراتها بعد ذلك .

وقد تحدث الدكتور «أحمد الشرباصى» فى حوار له مع الأستاذ «محمد فؤاد عبدالباقى» عن صلته بالعالم الجليل الشيخ «رشيد رضا» ، حيث يقول :

« . . . وحدثنى ـ عليه رحمة الله ـ بأنه تلميذ للمرحوم السيد « محمد رشيد رضا» ، صاحب مجلة المنار ، وصاحب (تفسير المنار) ، والذى يعد خليفة للأستاذ الإمام الشيخ «محمد عبده» ، وبأنه تلميذ للمرحوم العلامة فى الحديث علومه الشيخ «أحمد محمد شاكر» .

---

(١) من مقال أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .

وذكر لى الفقيد : أن صلته بالسيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بدأت عام ١٩٢٢م ، وظلت حتى مات السيد (رشيد) فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥م ، رحمه الله . والسبب فى نشأة الصلة بينهما أن مطبعة (المنار) أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبده) ، فذهب الأستاذ (محمد فؤاد) لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار ، ولم تكن له ـ حينئذٍ ـ صلة وثيقة بالشئون الدينية ؛ لأنه كان مشغولاً بوظيفته فى البنك الزراعى .

وفى مكتبة المنار تعرف الأستاذ (محمد فؤاد) إلى الأستاذ (عبد الرحمن عاصم) ـ ابن عم السيد رشيد رضا ـ ثم التقى الأستاذ (محمد فؤاد) بالسيد (رشيد رضا) فى المكتبة ذات زيارة ، فأعجب (محمد فؤاد) بروح (رشيد رضا) القوية وعلمه الغزير ، وأرشده (رشيد رضا) إلى طائفة من الكتب ليطالعها ، ثم توثقت الصلة العلمية بينهما . وكان البنك الزراعى يغلق أبوابه يوم الأحد من كل أسبوع ، فكان (محمد فؤاد) يجعل يوم الأحد شبه خالص للقاء السيد (رشيد) ، والاستمداد من علمه ، وإرشاده وتوجيهه .

وظل الأستاذ (محمد فؤاد) يثنى على السيد (رشيد رضا) حتى آخر حياته ، وكنت كلما لقيته يحلو لى أن أسمعه يعود إلى الحديث عن (رشيد رضا) وقد قال لى عنه :

إنه لا جدال فى أن السيد (رشيد رضا) هو التلميذ الأول للشيخ (محمد عبده) ، وهو امتداد لحياته ، ولولا (رشيد) لما عرفنا الشيخ (محمد عبده) ، ولا نال هذه الشهرة ؛ لأن مجلة المنار نشرت تفسير الأستاذ الإمام وعرَّفت به . والواقع أن السيد (رشيد رضا) كان خليفة للشيخ (محمد عبده) ، مع ملاحظة الفرق بين الشخصيتين .

وكان الأستاذ (محمد فؤاد) يتدفق فى الحديث حول هذا المعنى ، فسألته :

إذا كان الشيخ (رشيد رضا) هو الذى خلف الشيخ (محمد عبده) ، فمن تراه أشبه الناس اليوم بالسيد (رشيد رضا)؟

فأجاب :

ـ لعله الأستاذ (محمد بهجت البيطار) عالم الشام .

وعدت فسألته :

ـ إن للسيد (رشيد رضا) كتابًا عن (الربا) فيه أجزاء لم تعجب كثيرًا من العلماء ؛ لأنه أباح بعض صور الربا كما يقولون ، فما رأيك فى الكتاب؟

فأجاب :

ـ لقد كتب السيد (رشيد رضا) كثيرًا ، ولكنه لم ينته إلى الرأى الفصل ، وهو نفسه كان لا يرى أنه وصل إلى النتيجة الحاسمة فى هذا البحث .

وسألته أيضًا :

ـ مارأيكم فى موقف السيد (رشيد رضا) من السياسة؟

فأجاب :

ـ إن (رشيد) قد اشتغل أولاً بالقضية العربية ، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تمزق العالم العربى ، وانصرف (رشيد) عن السياسة إلى الكتابة الدينية ، ولعل السبب فى ذلك هو أنه وجد الجهود ستذهب هباءً .

وسألته كذلك :

ـ يقول بعض الناس : إن السيد (رشيد رضا) كانت له صلة بالإنجليز؟

ـ فغضب الأستاذ (محمد فؤاد) ، ورفع صوته يردد قوله : لا . . . لا . . . هذا غير ممكن بالمرة ، هذا بعيد عن الحقيقة ، ومن يقول هذا فهو مخطئ ، نعم كانت لـ (رشيد) صلة بالوهابيين والحجازيين ، وكانوا يعاونونه عن طريق أمير البيان (شكيب أرسلان) ، وهو قد أيدهم» [1] .

***

لقد كانت علاقة الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) بالشيخ (رشيد رضا) نقطة تنبّه حقيقية فى حياته ، أيقظت فيه قدراته العلمية ، ودفعته دفعًا واثقًا إلى العمل والانتاج العلمى .

ففى عام ١٩٢٨م ، علم السيد (رشيد رضا) أن الشيخ (أحمد محمد شاكر) عنده الأصل الإنجليزى لكتاب «مفتاح كنوز السنة» ، فأرسل الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) مع ابن عمه إلى الشيخ (أحمد شاكر) فى بيته بالحلمية بالقاهرة ، فاستعار له الكتاب ، ولم تكن زيارته هذه للشيخ (شاكر) سوى بداية لعلاقة توطدت بينهما فيما بعد ، وكان فيها الأستاذ

---

(١) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .

(عبد الباقى) بمثابة التلميذ الذى ينهل من شيخه ، حتى صار بعد وفاته محدث مصر بلا منازع [١] .

والجدير بالذكر أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) بعد أن انتهت خدمته بالبنك الزراعى ، افتتح دارًا لنشر الكتب الدينية بجوار المدرسة السنية بالقاهرة ، واتصل ببعض العلماء فى : الملايو ، والهند ، والصين ، واليابان ، والحجاز عن طريق الرسائل ، حتى أن بعض المجلات اليابانية قد نشرت صورته ، مثنية على خدماته فى حقل العلم الدينى [٢] .

وفى الخمسينيات من القرن الماضى عُيِّن ـ رحمه الله ـ محققًا ومراجعًا بمجمع اللغة العربية ، بالإضافة إلى عضويته فى اللجنة الاستشارية للمجامع العلمية للمستشرقين ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة .

مؤلفاته وبصماته على جدار الفكر والبحث :

لاشك أن التراث الإسلامى كان بحاجة ضرورية وعاجلة إلى نوع من الفهارس ؛ تخدم ـ فى المقام الأول ـ علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وتجعلها أقرب وأيسر إلى من يريدون البحث والتأليف فيها ، ولئن كانت صفحات التاريخ قد سجلت السبق فى هذا الميدان للمستشرقين ، إلا أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) استطاع أن يسابق هؤلاء ، وأن يضيف ويبتكر من الأعمال ما جعل المستشرقين أنفسهم يثنون عليه الثناء الجميل .

لقد يسر الأستاذ (عبد الباقى) السبيل لكل من وطئت قدماه درب البحث فى تراث الإسلام الثرى الفياض ، وأصبحت مؤلفاته ضرورية لكل باحث فى هذا المجال ، يستدعيها ويستنبئها كلما خانته ذاكرته ، أو أحوجه البحث إلى البرهان والدليل .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه :

(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) الذى استغرق وضعه خمس سنوات من العمل الدءوب ، والذى وصفه بعض المستشرقين بأنه : بمثابة (باسبورت) من الله يدخل به صاحبه الجنة [٣] .

---

(١) شخصية لا تنسى . أ . د . نعمات أحمد فؤاد ـ مجلة العربى ـ ١٩٦٨ ، وكتاب خادم القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

(٢) نبذة من ترجمة حياة المؤلف المرحوم العلامة «محمد فؤاد عبد الباقى» ـ أ . بدوى طه علام ، السكرتير الخاص للفقيد .

(٣) من مقالة أ . بدوى طه علام ، سكرتيره الخاص .

يقول الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) :

« . . . وإذا كان خير ما ألف وأكثره استيعابًا فى هذا الفن ، دون منازع ولا معارض ، هو كتاب (نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) ، لمؤلفه المستشرق (فلوجل) الألمانى ، الذى طبع لأول مرة عام ١٨٤٢ ميلادية ، فقد اعتضدت به وجعلته أساسًا لمعجمى»[١] .

ويقول :

« . . . وأما الطريقة التى اتبعتها فى مشتقات الكلمة (المادة) فهى الابتداء بالفعل المجرد المبنى للمعلوم ، ماضيه ، فمضارعه ، فأمره ، ثم المبنى للمجهول من الماضى والمضارع ، ثم المزيد بالتضعيف ، فالمزيد بحرف . . . . . إلخ ، ثم باقى المشتقات من المصدر ، واسم الفاعل ، والمفعول ، فباقى الأسماء . متبعًا فى ترتيب كلمات كل باب من هذه الفروع نفس الطريقة التى اتبعت فى ترتيب المواد الأصلية ، وهى ترتيبها ـ أيضًا ـ على حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها ، وهكذا [٢] .

وقد وضع (عبد الباقى) معجمه هذا بعد أن راجع ما ألفه السابقون فى هذا المجال .

وبعد أن انتهى الكتاب (المعجم) ، رجع إلى المصحف وعرضه لفظة لفظة ، فوجد أنه لم يسقط من جميع ألفاظ المصحف فى المعجم إلا خمس عشرة لفظة ، قيدها فى أول الكتاب ليستدركها كل قارئ له[٣] .

وقد افتتح ـ رحمه الله ـ معجمه بمادة : (أ . ب . ب) ، وختمه بمادة : (ى . و . م) ، وطُبع المعجم لأول مرة عام ١٣٦٤هـ ، بمطبعة دار الكتب المصرية ، بالقاهرة .

تفصيل آيات القرآن الحكيم :

وقد وضعه باللغة الفرنسية المستشرق الفرنسى (جول لابوم) ، وقسمه إلى ثمانية عشر بابًا ، هى :

التاريخ ، محمد ﷺ ، التبليغ ، بنو إسرائيل ، التوراة ، النصارى ، ما بعد الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العبادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعى ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الأخلاق ، والنجاح .

---

(١) مقدمة المعجم المفهرس .
(٢) خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .
(٣) مقال أ .د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م ، وكتاب خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

وتحت كل باب منها فروع ، تبلغ عدتها ثلاث مائة وخمسين فرعًا ، وتحت كل فرع جميع ماورد فيه من آيات القرآن الكريم ، مما لم يسبق جمعه وتنسيقه فى كتاب قبل هذا الكتاب .

وقد كان السبب فى ترجمة هذا الكتاب ، أن الأستاذ (عبد الباقى) وجه سؤالاً لأستاذه الشيخ (رشيد رضا) عن السبب فى تمكن الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبده) فى استحضار الشواهد من كتاب الله ، إذا أراد الاستدلال على صحة ما يقول بقراءة النص القرآنى الذى يؤيد ذلك ، فى أى الموضوعات العقلية ، أو النواحى الاجتماعية .

فأخبره :

« . . . أن ذلك راجع لقراءة الإمام الشيخ (محمد عبده) كتابًا فرنسيًا عنى مؤلفه العالم الكبير (جول لابوم) بوضع أبواب شتى فى أمور الحياة مفصلة من آيات كتاب الله» [١] .

وعن هذا الكتاب يقول الأستاذ الكبير (محمد فريد وجدى) :

«جاء هذا العمل من خير الأعمال وأجداها على الكُتَّاب والمؤلفين والباحثين ؛ فإن الذى يحاول أن يكتب عن الزكاة ، أو الأديان ، أو بعض الأنبياء ، أو مبدأ المساواة ، أو النظر إلى مخلوقات الله . . . إلخ ، مما يجب على الكاتب أن يقتبس فيه من الكتاب الكريم ، يعجز عن استيعاب الآيات الواردة فى هذه الموضوعات ، فأصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع أن يلم فى مجال واحد بكل مايود أن يقرأه عنه من الآيات ، لا بالهداية إلى أرقامها من المصحف فحسب ، ولكن بإثبات تلك الآيات نفسها فى صلب الصفحات ، هذا عمل جدير بالإعجاب ، فإنى كثيرًا ما كنت أتطلب تلك الآيات ، فأتعب فى استجماعها ، ولا أكاد أوفق لاستيعابها . أما اليوم فقد زالت هذه العقبة من طريقى بسبب هذا الكتاب ، فأشكر لحضرة الأستاذ المحترم محمد أفندى فؤاد عبد الباقى عمله المتواصل فى إبراز هذه الذخائر العلمية» [٢] .

ومن الطريف أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) ترجم كتاب (تفصيل آيات القرآن الكريم) ، وأهداه إلى الأديب المصرى الساخر الأستاذ (إبراهيم المازنى)!

---

(١) المرحوم السيد محمد فؤاد عبدالباقى . أ . بدوى طه علام ، السكرتير الخاص ، مجلة العشيرة ـ ١٩٦٨م .
(٢) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .

فابتسم ابتسامته الساخرة ، وقال له :

ـ ما شأنى به يا صاحبى؟

قل لى :

فى أى موضوع هو؟

ماذا تريدنى أن أكتب عنه؟

فقال له :

ـ إنه يتحدث فى كذا وكذا . . .

ثم قال له (المازنى) :

ـ التقينا !

ثم كتب عنه (المازنى) فى البلاغ مقالة شافية[١] .

مفتاح كنوز السُّنة :

معجم مفهرس عام تفصيلى ، موضوع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة ، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى ، وسنن أبى داود والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والدارمى ببيان رقم الباب ، وفى صحيح مسلم ، وموطأ مالك ، ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث ، وفى مسند أحمد بن حنبل ، وطبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة .

وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء .

وكان هذا المعجم فى الأصل موضوعًا باللغة الانجليزية ، وضعه المستشرق الهولندى (أ . ى ڤنسنك) ، وحاول الشيخ (أحمد شاكر) أن يترجمه مع عدم معرفته اللغة الإنجليزية ، وبعد أن ترجم نحو ثلثه ـ بمعونة بعض أصدقائه الذين يعرفون الإنجليزية ـ لم يستطع المضى فى العمل لكثرة الشواغل .

وكان المرحوم السيد (رشيد رضا) قد اطلع ـ أيضًا ـ على هذا الكتاب فى لغته الأولى فأعجب به ، واستأذن مؤلفه فى ترجمته ، فأذن له ، واتفق السيد (رشيد) مع الأستاذ (محمد

---

(١) خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

فؤاد عبد الباقى) على اقتسام العمل بينهما ، ولكن الشواغل صرفت السيد (رشيد رضا) عن العمل ، فمضى الأستاذ (عبد الباقى) فيه ـ وحده ـ بجد ومثابرة ، حتى أتم ترجمة الكتاب . وقد أثنى السيد (رشيد رضا) كثيرًا على الكتاب ، وعدّه أحد نفائس الكتب الإسلامية التى لايستغنى عنها أعلم علماء الحديث ، يقول :

«إنه يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما فى معناها ؛ كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها ، فلو كان بيدى ـ هو أو مثله ـ من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة ، لوفر علىّ ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ، ولمكّننى من الاستجابة لمن اقترحوا علىّ أن أضع كتابًا جامعًا للمعتمد فيها ، وكتابًا آخر للمشكل منها فى نظر علوم هذا العصر وفلسفته ، والجواب المقنع عنه» (١) .

ويقول عن الكتاب ـ أيضًا ـ الأستاذ (محمد فريد وجدى) :

«قد كان هذا الفهرست حاجة ماسة لكل مشتغل بالأحاديث النبوية ؛ فإن أحدنا كان يرى الحديث فلا يعرف له تخريجًا ، ويحار فى البحث عنه ، فأصبح يجده على طرف الثمام منه»(٢) .

هذا وقد أتم الأستاذ (عبد الباقى) عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر عام ١٣٥٣هـ ، الموافق ٢٧ يولية عام ١٩٣٤م ، ثم أعقبه بكتاب آخر فى عدة أجزاء بعنوان :

تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى :

ويراد من هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من كتاب «مفتاح كنوز السنة» ، بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الأصول .

والكتاب الذى ذكره فى عنوان كتابه ـ وهو« المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى» ـ كتاب ضخم جدًا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، وقد نشره فى (ليدن) بهولندا ـ الاتحاد الدولى للمجامع العلمية سنة ١٩٣٣م ، وطلب الأستاذ (محمد فؤاد عبدالباقى) إلى الأستاذ الدكتور (ونسنك) تصريحًا بالترجمة باعتباره مؤلف كتاب «مفتاح كنوز السنة» ، فبلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب ، بل أرسل إليه الفصل الأول من «المعجم المفهرس للحديث النبوى» ، ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة

---

(١) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .
(٢) المصدر السابق .

فضمنها كشفًا أرسله إلى الدكتور (ونسنك) ، فسُرَّ الأخير لذلك كثيرًا ، وكتب إليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم ، ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

وإذا علمنا أن المعجم المفهرس هذا يقوم به أكثر من أربعين مستشرقًا فى أنحاء العالم ، ثم يصحح عملهم مجتمعين الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) ، أدركنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقدر الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبله قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل .

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان :

وهو أصح كتاب فى الحديث ؛ نظرًا لأنه جمع ما اتفق عليه مسلم والبخارى ، وقد أراد (عبد الباقى) بهذا الكتاب أن يصور لنا الحياة اليومية التى كان يحياها رسول الله ﷺ من شروق الشمس إلى وقت العتمة ، بل إلى الهزيع الأخير من الليل ، فتظهر لنا كمال النفسية المحمدية ، وعظمتها فى مثاليتها ، مما يجعلنا نلمس العظمة فى ذات الرسول الكريم وأفعاله وأقواله .

وقد سلك (عبد الباقى) فى تأليفه منهجًا جامعًا للفوائد ، وتوخى من ترتيبه ترتيب صحيح مسلم ، وأخذ أسماء كتبه وأبوابه مع أرقامها ، وأخذ من صحيح البخارى نفس الحديث الذى وافقه مسلم عليه ، ووضع عليه شرحًا لطيفًا يحل ألفاظ الحديث ، ويبين ما فيه من فوائد بعبارة سهلة خالية من التعقيد .

إنه كتاب يعفيك من البحث فى بطون الكتب المطولة ، ومراجعة الشروح الواسعة الكبيرة ، ويقع فى ثلاثة أجزاء من القطع الكبير ، وعدد صفحاته (١٠٨١) صفحة .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه : زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، للشيخ حبيب الله الشنقيطى ، ولكن الأستاذ (عبد الباقى) زاد عليه خمسمائة حديث فاتت الشنقيطى .

معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخارى :

وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو شرح الألفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه ، والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الألفاظ من كتاب «مجاز القرآن» لأبى عبيدة .

ويضاف إلى ما سبق أن (محمد فؤاد عبد الباقى) نشر الكتب التالية نشرًا علميًا

محققًا :

ـ الموطأ للإمام مالك . فى جزءين .

ـ سنن ابن ماجة . فى جزءين .

ـ صحيح مسلم . فى خمسة أجزاء .

ـ شواهد التوضيح والتصريح لمشكلات الجامع الصحيح .

ـ الأدب المفرد ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : حقق نصوصه ، ورقَّم أبوابه وأحاديثه ، وعدد أبوابه (٦٤٤) بابًا ، وعدد أحاديثه (١٣٢٢) حديثًا .

ـ محاسن التأويل ، للقاسمى : صححه وحققه فى سبعة عشر جزءاً .

ـ ترجمة حياة الإمام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه :

«عن علم التقوى والفصاحة والفتوة والشجاعة والمروءة ، وهو كتاب يعتريك منه الدهشة ؛ إعجابًا بما اخطته من طريق جديد فى تأليفه ، وابتكار حديث فى وضعه ، حيث صاغ من النصوص الموثوق بها أبواب الكتاب فصلاً فصلاً : طفولته ـ شبابه ـ رجولته ـ المعارك والغزوات التى اشترك فيها والتى قادها . وقد استطاع الأستاذ (محمد فؤاد عبدالباقى) أن يجعل من هذه النصوص المبعثرة فى مئات الكتب ـ لُحمة متماسكة ، ومن المؤسف أن المرض كان قد قعد بالأستاذ عن إتمام هذا الكتاب الفريد»[1] .

ـ قرة العينين فى أطراف الصحيحين :

وهو فى خمسة أجزاء من القطع الكبير ، وفيه اضطلع بتجميع ولمّ شتات مواضع أحاديث البخارى ، فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد فى مواضع عدة حسب المعانى الواردة به .

ـ كتاب دستور المسلمات المؤمنات : ما لهن وما عليهن من كتاب الله والحكمة .

ـ جامع مسانيد صحيح البخارى :

وفيه يورد النصوص المتعددة للحديث الواحد ، حسب مواضعها فى صحيح البخارى ، كما يجمع أحاديث كل صحابى على حدة ، مرتبًا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية ، وذلك بعد أن قسمهم إلى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيات .

---

(١) نبذة من ترجمة حياة المؤلف المرحوم العلامة «محمد فؤاد عبد الباقى» ، بقلم أ . بدوى طه علام ، السكرتير الخاص للفقيد .

وعدتهم جميعًا (١٩٦) صحابيًا .

وقد استغرق هذا الجهد الصابر ما يربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولهذا الكتاب قصة ترويها محاضر المجمع اللغوى عام ١٩٤٣م ، بما تضمنته من مكاتبات دارت حوله بين المستشار الفنى لوزارة المعارف يومئذٍ الدكتور طه حسين ، وبين المجمع .

وقد تضمن التقرير الذى وضعته اللجنة المكونة من الأساتذة :

أحمد بك إبراهيم .

الشيخ إبراهيم حمروش .

الشيخ محمد الخضر حسين .

تقديرًا وإشادة بالجهد السخى الذى بذل فى الكتاب ، وانتهى الأمر باعتذار المجمع عن النشر ؛ لأن الكتاب أدْخل فى باب السنة منه فى باب اللغة !![1] .

ـ جامع الصحيحين :

وهو من الكتب التى واكبت حرص الحكومة المصرية فى خدمة السنة ، إذ حدث أن وجه فضيلة شيخ الأزهر المرحوم الشيخ مأمون الشناوى ـ الدعوة إلى الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ؛ لحضور اجتماع اللجنة المنعقدة فى ٢٨ فبراير عام ١٩٥٠من المشتغلين بعلم الحديث . وكان الاجتماع مؤلفًا من :

شيخ الأزهر ؛ رئيسًا ، ومعه كل من السادة :

أحمد محمد شاكر ، والشيخ عبد العزيز المراغى (وكيل الأزهر) ، والشيخ عبدالرحمن حسن ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، والشيخ محمد زاهد الكوثرى (وكيل المشيخة الإسلامية فى الآستانة) ، والشيخ رضوان محمد رضوان ، والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وبحث المجتمعون موضوع جمع كتبْ السنة الستة فى كتاب واحد ، واتفقوا على أن يكون ترتيب الكتاب على حسب ترتيب صحيح مسلم .

وفى ١٥ أبريل أسند إلى الأستاذ محمد فؤاد العمل على جمع أحاديث صحيحى

---

(١) شخصية لاتُنسى ، أ . د نعمات أحمد فؤاد ، مجلة العربى ـ ١٩٦٨م .

البخارى ومسلم ، وانتهى العمل عام ١٩٥٢ .

ثم تألفت لجنة من ثلاثة علماء لمراجعته ، منهم الشيخ عبد الفتاح العنانى (شيخ المالكية) وكان ذلك فى عهد الشيخ عبد الرحمن تاج (شيخ الأزهر) .

ومما يذكر أن :

هذا الجامع بلغت جملة ما أُنفق عليه تأليفًا ومراجعة من غير أن يطبع ـ ألفان ومائتا جنية ، وكان ديوان المحاسبة يتابع هذا الإنفاق ويكاتب المجلس الأعلى بشأنه ، ومايزال العمل فى محفوظات الأزهر وسجلاته !!

إن من ينظر إلى أعمال محمد فؤاد عبد الباقى ، يجدها سبحًا طويلاً تثبت ما يعتمل فى طوايا الرجل من حب الرجوع بالبيئة الإسلامية الحقة إلى حقيقة قيام الوجود الفعلى للشريعة الإسلامية .

لقد كان الرجل يتعامل فى نتاجه العلمى مع دور النشر تعامل العلماء الزاهدين الذين يقدرون أن العمل العلمى لاتكافئه أموال الدنيا ، وكان يقول لأولاده :

«لا أريد أن يكون ميراثكم منى أموالاً وقصورًا ، وإنما هى الكتب : خزائن العلم ومفاتيحه»[1] .

وليس بعجيب أن تكون الأمانة فى نشر العلم هى أول ما يختاره للكتابة فى مجلة الأزهر ، فتكون أول مقالاته فيها بعنوان : «الأمانة العامة أيها المعرّبون !» .

وهى صرخة يصحح فيها لأحد المعربين ترجمته ؛ حتى يكون أمينًا فى نقل العلم .

* * *

وقد تنقل الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) فى سكنه ؛ فعاش طرفًا من حياته فى الروضة بالقاهرة ، وكان يجاوره فيها الأستاذ خير الدين الزركلى ، حيث كان من زمرة أصدقائه المقربين التى تضم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور محمد كامل حسين ، حيث كان يقضى معهم الأوقات يتدارسون العلم حينًا ، ويتحادثون فى أمور السياسة حينًا آخر ؛ إذ كانت تلك الفترة مشحونة بالأحداث السياسية والتحولات التاريخية ، سواء قبل الثورة أو بعدها ، فقد

---

(١) خادم القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

كان محبًا للرئيس محمد نجيب لما يتمتع به من دماثة الخلق ، والفكر القويم ، وكان كارهًا للظلم والديكتاتورية ، فلم يستطع استساغة التغيير الذى حدث بعده .

ثم انتقل من سكنه بالروضة إلى شاطئ الجيزة ، حيث أقام بشقة فى عمارة ضخمة على النيل ، يكتب ويؤلف ويترجم ، وهو فى كل ذلك يقدم ما يفيد الناس ابتغاء وجه الله .

وقد حصل الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى على نوط الامتياز من الطبقة الأولى من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى ليلة القدر من عام ١٩٩٠م .

وتم إطلاق اسمه على شارع (قرة بن شريك) المتفرع من شارع النيل بالجيزة عام ١٩٩٨م .

صائم الدهر!!

إن حياته الخاصة تدخل فى باب الغرائب ، فقد كان نباتيًا ، وكان يعرف فى مصر باسم : (صائم الدهر) ؛ لأنه كان يصوم العام كله ، لايفطر فيه إلا يومين اثنين هما :

أول أيام عيد الفطر ، وأول أيام عيد الأضحى .

وكان يصوم بغير سحور ، أى أنه يتناول وجبة واحدة كل ٢٤ ساعة !

ويبدأ فطوره بملعقتين من العسل الأبيض ، ثم طعامه ، ثم الزبادى والفاكهة وفنجان قهوة .

وفى تمام العاشرة مساءً يشرب كوبًا من الماء ، وبهذا تنتهى صلته بالطعام والشراب حتى مغرب اليوم التالى .

وحجرته الخاصة التى تضم مكتبته الكبيرة بها عدة مناضد ، فهى حجرة أشبه بالإقامة الكاملة :

الكتب ، المناضد ، الصور ، الأدوية ، الأقلام ، الساعات .

وكان محافظًا فى كل شىء ؛ فزيه يتكون من البدلة الكاملة صيفًا وشتاءً ، لايستطيع حر الصيف أن ينحى الكرافت أو الدبوس الألماس ، كما لا ينسى المنديل الأبيض فى جيبه ، والعصا الأنيقة فى يده ، والطربوش القانى على رأسه ، وقد أحضر له قالبًا من الفضة ؛ حتى يبقى على استوائه .

لقد كان عاشقًا للتأنق وراغبًا للكمال فى كل شىء ، وكان زاهدًا فى الاجتماعات والتعارف ، يفسر هذا وكأنه يعتذر :

«إن التعرف إلى الناس تقوم ـ تبعًا له على الأثر ـ حقوق لهم ، والتزامات واجبة الرعاية والوفاء ، وليس عندى وقت لهذا ، ولا أنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى !»[١] .

كان ـ رحمه الله ـ له عالمه السمعى ، فقد كان يعشق الاستماع إلى القرآن الكريم من كبار المقرئين . وكان أكثر ما يثير غضبه الخطأ فى الدين وعدم الأمانة فى العلم ، وكانت سيرة الرسول ﷺ هى أكثر ما يهز وجدانه ، ويثير مشاعره رقة وحنانًا .

وفى سنة ١٩٦٧م وقعت النكسة ، فكانت غصة فى حلقه ، ولكنه كان واثقا من نصر الله ، ويردد :

«إنها محنة لاتعبرعن واقع الإرادة المصرية والعربية والإسلامية ، وإن لها ما بعدها»[٢] .

وفى أوائل سنة ١٣٨٨هـ وافته المنية يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٨م ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، مخلّفًا تراثًا عظيمًا يشار إليه بالبنان فى كل حين وآن .

تلك كانت لمحة عن سيرة هذا العالم الجليل الذى قضى حياته ، وأفنى بصره فى خدمة المعاجم الخادمة للقرآن والحديث ، فرحمة الله عليه ورضوانه له .

ويبقى بعد ذلك واجب الأمة نحو علمائها الأفاضل ، ولعل فى طليعة هذا الواجب نحو محمد فؤاد عبد الباقى ، نراه فيما يلى :

أولاً :

ترجمة مفصلة عن حياة هذا العالم الجليل وآثاره .

ثانيًا :

طبع ما لم يطبع من كتبه وبحوثه ومقالاته .

---

(١) شخصية لاتُنسى ، أ . د . نعمات أحمد فؤاد ، مجلة العربى ـ ١٩٦٨ ، والعالم الإسلامى محمد فؤاد عبد الباقى ، بقلم كريمته عفاف محمد فؤاد ، مجلة الأزهر ، ١٩٨٥ ، خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

(٢) خادم القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

ثالثًا :

إعادة طبع ما نفد من كتبه المطبوعة ، أو التى قلت نسخه .

رابعًا :

جمع مقالاته وبحوثه المتناثرة فى كتاب مطبوع .

خامسًا :

أن يكون له مكانًا معلومًا على صفحات «الإنترنت» .

سادسًا :

حرص الدولة على تعريف طلاب العلم بمثل هذه الشخصيات .

والله نسأل أن يوفق أمته للوفاء لذكراه .